

تتمة واستدراك على مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية
الدكتور مصطفى جواد

مجلة المجمع العلمي العراقي
المجلد الثامن عشر
1389هـ - 1969م

تتمه الدكتور علي محمد دور ودلائل خط بغداد في العصور العباسية

الدكتور مصطفى خواجه

وصل إليّ المجلد الرابع عشر من مجلة مجمعنا العلمي العراقي في الاسبوع الأول من آذار هذه السنة ، فطالعت على شدة مرضي العضل وسرني ما رأيت فيه من مقالات مفيدات ولا سيما المقالة البارعة « مصادر دراسة خط بغداد في العصور العباسية » من مباحث الرميل الدكتور الفاضل صالح أحمد آل علي ، فانها حجة القوائد ، وقد حدثني على أن اسطر ما يكون تنمة لها واستدراكاً ، وأحسب الرميل الفاضل ينشر ح صدره وترتاح نفسه لكل فائدة جديدة ، كما هو عادة العلماء والفضلاء ، فأقول :

١ — نقل الدكتور الفاضل في الصفحة ١٥ من المجلد المذكور آنفاً أن أبا سعد السبعماني « ذيل على كتاب الخطيب البغدادي وأن العماد الاصفهاني ذيل على كتاب السمعاني ^(١) ، وأن محب الدين محمد ابن النجار البغدادي ذيل أيضاً على كتاب الخطيب ، وأن تقي الدين محمد بن رافع المتوفى بحسب نقله سنة ٩٧٤ هـ ذيل على تاريخ ابن النجار ، وذيل على كتاب ابن النجار ايضاً أبو بكر المارستاني ، وأن ابن الساعي ذيل على تاريخ المارستاني ، وأن ابن الديبني ذيل على تاريخ السمعاني ، وأن ابن القطيعي ذيل على كتاب ابن الديبني » .

استخلص الرميل ذلك مما ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » في كتابه كشف

(١) ذكر حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » انه سماه « السيل على القيل » وأنه في ثلاث مجلدات .

الظنون ، وفي كلام مؤلف الكشف خطأ ظاهر ينبغي تبيانه لثلا يبقى منزلة للباحثين في تواريخ بغداد ، وهو أن أبا بكر المارستاني ويسمى أيضاً ابن المارستانية ألف تاريخه قبل تأليف ابن الديلمي لتاريخه ، وقبل تاريخ ابن النجار فلا يصح كونه ألف ذيلاً على تاريخ ابن النجار ، قال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٩ : « أبو بكر عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة المعروف بابن المارستانية ، شيخ طلب علم الحديث واشتغل به وجد فيه واتسم به وجمع وصنف ورسوم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) » ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، فطول في ذلك تطويلاً يضيق العمر عنه ، لا جرم لم يتم ^(١) ... » . وذكر ابن أبي أصيبعة انه « عمل تاريخاً لمدينة السلام سماه (ديوان الاسلام الاعظم) وكتب منه كثيراً ولم يتمه ^(٢) » . وقال أبو شامة في ترجمته : « وصنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتهر ^(٣) » ودافع عنه .

وقال ابن الديلمي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة (بالهاء للهمة والراء غير المعجمة) أبو بكر بن أبي الفرج المعروف بابن المارستانية ، أحد من طلب الحديث وسمعه وجمع الكتب المصنفات فيه واتسم بمعرفته ، وادعى الحفظ له وسعة الرواية (والنقل ممن لم يدركه) ولا سمع منه ، فأطلق ألسن الناس في جرحه وتكذيبه وإساءة القول في حقه ، من أهل هذه الصناعة والعلماء بها وانتسب الى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مع معرفة الناس به وبأبيه وبعدهما عن نسب مشهور ، غير خدمة المارستان ، فكان أبواه يخدمان بالمارستان ، وتعرف أمه بالمارستانية واليهما نسب ، وأما أبوه فكان يعرف بفرج أحد حواشي المارستان والقوام به . لا يعرف بكنتيته ولا يعرف بغير ذلك ، فغير ابنه هذا اسمه وكنيته بأبي الفرج وصماه علياً ، ولعل قائلًا لو قال لأبيه : أتعرف أبا الفرج علي هذا اسمه وكنيته بأبي الفرج وصماه علياً ، ولعل قائلًا لو قال لأبيه : أتعرف أبا الفرج علي

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعبود السيد « ج ٩ ص ١١٢ طبعة كاتب هذه السطور ونحبة » .

(٢) عبود الأنبياء في طبقات الأطباء « ١ : ٣٠٣ » .

(٣) ذيل كتاب الروستين « ص ٣٤ طبعة الجيد عزرة العطار » .

ابن نصر التيمي ؟ كما كان ابنه عبيد الله هذا يدعي^(١) لما عرف ذلك الشخص وهو نفسه . ومن العجائب أن عبيد الله هذا روى في شيء من تأليفاته في عدة مواضع عن أبيه هذا ويقول : أخبرني والذي أبو الفرج علي بن نصر ... ويذكر حديثاً وأبوه معروف ، كان طامياً غير معروف بطلب الحديث ولا بسماعه ولا يفهم الرواية ولا كان من أهلها ... وجمع مسودة كتاب سماه (ديوان الاسلام الأعظم) في تاريخ بغداد فكتب منه كثيراً ولم يتمه ولا يبضه ، ووقفت منه على شيء وقد ضمنه من غرائب الشيوخ له والروايات غير قليل ولو ظهر هذا الكتاب وتم لكان من أكبر الشواهد على تخروصه^(٢) ... » .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة بن علي بن عبيد الله أبو بكر بن أبي الفرج التيمي المعروف بابن للمارستانية ، هكذا كان يذكر نسبه ويوصله الى أبي بكر الصديق . قال محب الدين ابن النجار : ورأيت للشايخ الثقات من أصحاب الحديث وغيرهم ينكرون نسبه هذا ويقولون إن أباه وامه كانا يخدمان للرعي بالمارستان ... وادعى لأبيه سماعاً من أبي بكر محمد بن عبد الباقي وسمّحه منسه ، وذلك باطل .. وجمع مجموعات من التواريخ وأخبار الناس من غير طرقها من نظرها ظهر له من كذبه ولحشه وتموره ما كان مخفياً عنه ... قال ياقوت : وعني بجمع تاريخ بغداد ، أزدى فيه على الخطيب وسماه (كتاب ديوان الاسلام الأعظم) قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً في كل كتاب أسماء توافق أنسابها وطول في ذلك ، وله كتاب الحوادث ولم يتم وكتاب في الصفات ... وقد بالغ ابن الديلمي في الطعن عليه وزاد في غلوه فيه والله أعلم بحقيقة الحال^(٣) » . وقال ابن النجار : « وقرأ كثيراً على المتأخرين وعلى مشايخنا وكتب بخطه وحصل الأصول ولم يقنع بذلك حتى ادعى السماع ممن لم يدركه وألحق طباقاً على الكتب بخطوط مجهولة تشهد بكذبه

(١) سقطت هذه الكلمة من في النقل وقد وضعها استرجاحاً ولعل الأصل « كما كان يسديه » ما أدري .

(٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي « جزء خزانة كنجبرج للمصور في المجمع العلمي العراقي ، ٢٦٦ » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ٣٠٠ » .

وتزويره ... سمعت ابا الحسن بن القطيعي يقول : سمعت ابا الفرج بن الجوزي يقول : قال لي ابو بكر ابن المارستانية مولدي في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . بلغنا انه توفي في موضع يعرف بجرج بند وكان راجعاً من تلميس قاصداً للأمر أبي بكر في ليلة الأحد غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن في ذلك الموضع ^(١) .

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بفخر الدين إلا ان اسمه ولقبه سقطا من الجزء المخزون في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فعرفتها من سيرته الباقية في كتاب ابن الفوطي ، قال : « ذكره شيخنا تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه وقال : كان فقيهاً محدثاً مؤرخاً مفسراً وجمع وصنف ورسم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً وطول تطويلاً يضيق العمر عنه ، لا جرم لم يتم ^(٢) ... » . وقال زكي الدين المنذري المصري : « وذكر أنه سمع من أقوام لم يدركهم ^(٣) » .

وذكره الذهبي في تاريخه الكبير ونقل من كتب عدة عن شيوخ ثقات أخبار تزويره وتدليسهم ونهيه عن الرواية عنه ، منها « قال ابن نقطة : حدثني علي بن احمد الزبيدي أن ابن المارستانية استعار منه (مغازي الأموي) فردّها وقد طبق عليها السماع على كل جزء ، ولم يسمعها ^(٤) » ، يعني انه كتب اسمه بين السامعين لها على أحد رواياتها الاثبات مع أنه لم يسمعها .

وذكر ابن رجب نقلاً من مرآة الزمان لمسبط ابن الجوزي أنه « صنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتهر » . ونقل من تاريخ ابن القادسي أن له تاريخ مدينة السلام على وضع كتاب الخطيب وهو

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « جزء المجمع العلمي للصور ، ١٠٠ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم ٢ ص ٢٢٦ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « الجزء للصور في المجمع العلمي و ٤٦ » .

(٤) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ١١٨ و ١١٩ » .

كتاب نفيس، وقد ذكر فيه اقواما، ذكر أنهم لا يعرفون وقد عظمهم هو ووصفهم^(١).
وقد انتصر له ابن رجب بسبب المذهب. واختصر اقواله ابن العماد في شذرات الذهب
« ٤٠ : ٣ » .

وفذلك القول ان ابن المارستاني لم يؤلف ذيلاً على تاريخ ابن النجار وان تاريخه لم
يتم ولم يخرج، الا قسم منه، وهو عرضة للطعن والشك. وقد مضى إزاء ابن
النجار عليه.

وأما تاريخ ابن القطيعي فلم يسكن ذيلاً على تاريخ ابن الديبشي، لأنها كانا متعاصرين
وانما كان ذيلاً على تاريخ السمعاني الذي هو ذيل على تاريخ الخطيب، قال ابن رجب « محمد
ابن احمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي القطيعي الأزجي المؤرخ أبو الحسن بن
أبي العباس، وقد سبق ذكر أبيه^(٢). ولد في رجب سنة ست واربعين وخمسة،
وبكر به والده واسمه... ثم طلب هو بنفسه وممع من جماعة بعد هؤلاء وقرأ على الشيوخ
وكتب بخطه ورحل... وجمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ أبي سعد بن
السمعاني، سماه (درة الاكليل في تمة التذييل) رأيت أكثره بخطه وقد نقلت منه في
هذا الكتاب كثيراً وفيه فوائد جمعة مع أوهام واغلاط، وقد بالغ ابن النجار في الخط على
تاريخه هذا مع انه اخذ عنه واستفاد منه ونقل منه في تاريخه أشياء كثيرة، بل نقله كله،
وقال: لم يكن محققاً فيما ينقله ويقول، وكان له حصة، قليل المعرفة بأسماء الرجال... ولما
عمر المستنصر مدرسته المعروفة به جعل القطيعي شيخ دار الحديث بها وكان ابن النجار
بها مفيداً للطلبة وهذا من جملة الأسباب التي أوجبت تحامله عليه... قال ابن النجار: توفي
ليلة السبت لأربع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستة وصلي عليه من الغد

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٤٤٣، ٤٤٦ طبعة مطبعة السنة » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٣٠١ » .

بعده مواضع ودفن بباب حرب - رح - (١) ... » . وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٣٤ : « وجمع تاريخاً للبغداديين وحديث وهو آخر من حدث ببغداد بصحيح البخاري كاملاً عن أبي الوقت سمعاً وتقرّد بالرواية عن غير واحد وهو منسوب الى قطيعة باب الأزج (٢) المعروفة بقطيعة المعجم (٣) ... » .

وقال الصفدي : « وكان قد ذيل على كتاب التاريخ الذي عمله أبو سعد ابن السمعاني وأذهب عمره فيه ، قال ابن النجار : وطالعه فرأيت فيه من الغلط والوم والتصحيح والتحريف كثيراً أوقفته على وجه الصواب فيه فلم يفهمه وقد نقلت عنه أشياء ونسبتها اليه ، ولا يطمئن قلبي اليها والعهد عليه فيما قاله ، فانه لم يكن محققاً فيما ينقله ويقول به - عفا الله عنا وعنّه (٤) - » . ونقل هذا الكلام شمس الدين الذهبي ثم نقله من كتابه ابن حجر العسقلاني ، ثم قال نقلاً من تاريخ ابن النجار : « سمعت عبد العزيز بن دلف (٥) يقول غير مرة : سمعت الوزير أبا المظفر [عبيد الله] بن يونس يقول لأبي الحسن القطيعي : وبلك همرك تقرأ الحديث ولا تحسن أن تقرأ حديثاً واحداً صحيحاً » .

وترجم له ابن المهاد في الشذرات مرتين الأولى باسم « أبي الحسن احمد بن محمد » وهو خطأ واختصر كلام ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة على عادته في تراجم الحنابلة ، قال : « وجمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ ابن السمعاني سماه (درة الاكليل في تنمة التذليل) وفيه فوائد جمعة مع اوهام (٦) » . ثم ترجم له في الصفحة ١٦٨ بإيجاز بالاضافة (٧) الى الترجمة الاولى وقال : « ضغفه ابن النجار لعدم إتيانه وكثرة اوهامه (٨) » .

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢١٢ ، ٢١٣ » .

(٢) هي أرض مقبرة الفزالي الحالية بشرقي بغداد وما حولها .

(٣) النسخة لوفيات النفلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ ص ١٩٤ » .

(٤) الوافي بالوفيات « ٢ : ١٣٠ » .

(٥) في لسان الميزان « ٥ : ٤٧ » دلفي وهو تصحيف .

(٦) الشذرات « ٥ : ١٦٢ » .

(٧) أي بالنسبة لا بمعنى « زيادة على » .

(٨) الشذرات « ٥ : ١٠٨ » .

وقال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر العامري الحرصي في حوادث سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي أبو الحسن المؤرخ وهو محمد بن أحمد البغدادي المحدث ، أخذ الوعظ عن ابن الجوزي وهو آخر من حدث بالخاري سمعاً عن أبي الوقت السجزي وضعفه ابن النجار ^(١) » . وترجم له ابن الديلمي وإن لم يذكر وفاته لأن تاريخه في نشرته الثانية انتهى بسنة ٦٢١ قال : « محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي أبو الحسن منسوب إلى قطيعة باب الأزج وتعرف بقطيعة المعجم ، بكر به والده وأسمعه في صغره ... وجمع تاريخاً لبغداد لم أقف عليه . سمعت منه أكثر صحيح البخاري وشيئاً عن أبي بكر الراغبوني ^(٢) » ، وأما كون تقي الدين بن رافع قد توفي سنة ٦٧٤ هـ فليس بصواب لأن وفاته كانت في سنة ٧٧٤ هـ ^(٣) وهذا من السهو في النقل أو السرعة في الكتابة .

٢ - وجاء في الصفحة « ٢٠ » من المجلة في المقالة المذكورة ذكر الحسن بن محمد السكوبي ومراجع ترجمته وقد فات الدكتور القاضل ذكر لسان الميزان « ٢ : ٢٥١ » ففيه ترجمة له على وجه الجرح بالبداهة ، فالرجل قد تناوله لسان الميزان .

٣ - وجاء في الصفحة ٢٣ « أما إسماعيل بن علي الخطيبي (٢٦٩ - ٣٥٠) فقد ترجم له [الخطيب] في الجزء السادس ^(٤) (ص ٢ - ٥) وذكر أنه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين ، وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب (ص ٢٤٣) ويبدو أن النقل جاء من هذا الكتاب » . قلت : وترجم له ياقوت الحموي في معجم الأدباء ووقع في تاريخ وفاته فيه تصحيف فصارت سنة ٢٦٩ . وذكره أبو سعد السمعاني في « الخطيب » من الأنساب ^(٥) وأبو الفرج بن الجوزي في المنتظم « ٧ : ٥ » وكلا الأخيرين اختصر كلام الخطيب ،

(١) غربال الزمان ق وفيات الأعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ و ١٨١ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب المذكورة ٥٩٢١ و ٢٠ » .

(٣) الدرر الكامنة « ٣ : ٤٤٠ » .

(٤) الصواب « ج ٦ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ » .

(٥) الأنساب في مادة « الخطيب » .

والحق يقال ، ومن المهم في هذا الأمر ان جزءاً من كتاب « مختصر تاريخ الخلفاء »
للخطي المذكور محفوظ في دار كتب كوبنها كن بالدايمارك وترقيمه بين الكتب العربية
« ٨٥ » واخرى في ايطالية . وقد جاء في الفهرست التي بكونها كن ما هذا معه :

الجزء الأول من كتاب مختصر تاريخ الخلفاء ، تأليف أبي محمد اسماعيل بن علي بن
اسماعيل الخطي ، رواية أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى ابن جنيقا عنه ، رواية أبي
الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن علي الآبنومي عنه ، رواية أبي غالب أحمد بن الحسن بن
أحمد بن عبد الله بن البناء عنه ، رواية أبي العز عبد المغيث ^(١) بن زهير بن زهير الحربي
عنه ، قرأه علي بحق سماعي على الشيخ أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء : الشيخ الجليل
العالم أبو محمد إبراهيم ابن الشيخ الجليل الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن المبارك ابن بكروس
- بركة الله محابته - وكتب عبد المغيث بن زهير بن زهير - عفا الله عنه - قرأ الكتاب
وأجزت له أن يروي عني جميع ما تجوز روايته من سائر العلوم وما أجاز لي أشياخي على
الشرط المعروف بين أهل العلم في ذلك . الحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله أبدأ ،
والكتاب من نسخته : أربعة أجزاء وهي في الأصل جزءان ... قال المؤلف : هذا كتاب
مختصر من كتاب تاريخ الخلفاء وتاريخ أوقاتهم وممددهم وأعمارهم وأناسيهم وصفاتهم ،
مجرداً دون سيرهم وأخبارهم وأعوانهم فان ذلك في الكتاب الكبير مرسوم ، وأسقطته
ها هنا ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه ، وقد ذكرت في آخره ولاية العمود الدين لم يلوا
الأمر ومن يجري مجراه ممن رشح للأمر ولم يبلغه . باب من طهر من الطالبين وبويع
له بالخلافة في دولة العباسيين .

ومن الأمور المستغربة أن هذا الجزء الذي هو من أقدم ما ألف في التاريخ لم يصوره

(١) من الرواة المشهورين المذكورين في أعيان الختابة ، توفي سنة ٥٨٣ هـ كما جاء في حوادث سنة
السنة من كامل ابن الأثير قال مؤلفه : وصنف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب وقد
رد عليه أبو الفرج بن الجوزي وكان بينها عداوة . قلت : والرد موجود محفوظ في عدد من خزائن
الكتب وعنوانه « الرد على المنعيب الشديد المانع من ذم يزيد » .

العرب إلى الآن " وقد وقعتُ على وصفه بالاتفاق - أعني بالصدفة - فأرجو ممن وُكلت اليهم أمور الثقافة العربية والتراث الاسلامي أن يسعوا تصويره وطبعه وإن كان مختصراً من تاريخه الكبير .

٤ - وأما ما يستدرك على الدكتور الفاضل من الكتب التي تناولت خطط بغداد فـ « خلاصة الذهب المسبوك » المختصر من سير الملوك ، تأليف عبد الرحمن الاربلي المعروف بسبط قنيتو المتوفى سنة ٧١٧ فقد ذكر أولاً صلاح موضع بغداد للبناء والسكنى ، واستطرد الى ذكر الأقاليم وأن إقليم بغداد وهو الرابع صفوة الارض ووسطها وأن العراق مركز العلم ثم ذكر اربيات المنصور موضعاً لمدينة جديدة ، وأسطورة مقلاص المشهورة ، وموضع بغداد الاقتصادي وموضعها الحربي وحشره الصنائع والفعلة وأهل الهندسة وأمره باختطاط المدينة وحفر الأساس بحسب الطالع وضرب الابن وطبخ الأجر ومحاولته نقض القصر الأبيض الكسروي بالمدائن وإعراضه عن ذلك وذكر سور المدينة وخندقها ومساحتها ومقدار النفقة عليها وما في أسواقها من الابن ، وذكر أبوابها الأربعة وما بينهن من المسافات وما على كل منها من مجلس ودرج وقبة وقواد الأبواب وحراسها وأبراج السور والقبة الخضراء التي في قصره : قصر الذهب ، ثم تطرق الى ذكر حمامات بغداد ومساجدها ، ومدح بغداد بالشعر ^(١) . وأكثر ما ينقل هذا المؤلف إنما هو من تاريخ ابن الساعي .

ومنها كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » فقد ذكر ابن تغري بردي اربيات المنصور موضعاً لمدينته الجديدة واسطورة مقلاص وجمع الصنائع والفعلة والمهندسين والحكام والعلماء ورسم للمدينة وما كانت عليه قبل البناء ومساحة المدينة والمادة التي بنيت بها وأبوابها وبروجها وسورياتها والجامع والقصر وقبته الخضراء ، وذرع بغداد عن الصولي عن أحمد بن أبي طاهر طيفور وعن غيره ، وعن ابن أبي طاهر حماماتها ومساجدها

(١) خلاصة الذهب المسبوك « من ٧٢ - ٧٧ طبعة مكتبة لثني » .

وحماماتها أيضاً عن هلال ابن الصابي ، وبغداد الجديدة ، نقل ذلك كله عن الذهبي ^(١) .
ولا أجد بأساً في ذكر مسالك الاصطخري فقد ذكر إنشاء المنصور لبغداد بالجانب الغربي وإقطاعه القطائع ومعسكر المهدي بالرصافة وزيادة عمران بغداد وانتقال الخلافة - يعني دارها - الى الجانب الشرقي ونشوء حريم دار الخلافة وقصورها وبساتينها وامتداد ذلك الى نهر بين من الشرق والى الشمالية من الشمال ، وما يحاذيها من الجانب الغربي كالحرية الى الجنوب حتى الكرخ ، وذكر جانب الطاق والرصافة وموضع السوق الأعظم وقصر الرشيد بقرب جامع الرصافة ، وجوامع بغداد الثلاثة جامع المنصور وجامع المهدي وجامع دار الخلافة ، واتصال عمارة بغداد بكلاوذا ، وذكر جسر بغداد ، وعمارة الكرخ وكونها مركز التجارة والأنهار والبساتين بالجانب الشرقي وسقي النهروان وتامراً بفروعه ذلك الجانب ، وعدم ارتفاع ماء دجلة إليه إلا بالدواليب وذكر الجانب الغربي والأنهار التي تتخلله من فروع الفرات الرواضع كنهر عيسى والصرافة ^(٢) . وهذا من المباحث الضرورية لمعرفة تطور الخطط البغدادية الذي أراده الدكتور الفاضل ، واعتدده لازماً لمعرفة أدوار الخطط وأطوارها .

هذا ما أردت تبينه وأختم كلامي بتكرار شكري للدكتور الزميل المحقق صالح علي تعريضة بالكتابات غير العلمية في الخطط والحضارة ، وتجدد به لتنتائج الميثة الى التاريخ العلمي الحديث ، كأن يتحدث الكاتب على لسان رحالة في القرن الثاني للهجرة فيصف البصرة سنة ١٥٦ ويستشهد بشمر ابن أبي عيينة من أهل القرن الثالث للهجرة ^(٣) ويصف قصر الأحنف بن قيس من أهل القرن الأول للهجرة وهو في القرن الثاني منها ، أو البيضاء دار عبيد الله بن زياد وهو في القرن الثاني أيضاً ^(٤) ، ويجعل كلاوذا قبل المدائن

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة « ١ : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ » .

(٢) مسالك الممالك ، الاصطخري « ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ » .

(٣) حضارة الاسلام في دار السلام « ص ٧ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٧ أيضاً » .

للمصمد من البصرة إلى بغداد ويسمى « المأصر » أي سلسلة الكرك « الماطر »^(١) ،
 ويلبس أبا جعفر المنصور من أهل القرن الثاني ملبس الخليفة الناصر لدين الله في القرن
 السادس^(٢) ، ويصف خطيب القرن الثاني بوصف خطيب القرن السادس^(٣) ، وينسب
 إلى السيدة زبيدة زوج الرشيد أنها أمرت بصنع بساط من الديباج جمع صورة كل
 حيوان من جميع الأجناس وصورة كل طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ،
 يقال إنها أنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار (كذا) ، ويقول في العنصرية محبلاً على
 المستطرف مرجعه ١ : ٩٨ إن أم المستعين هي التي صنعتها^(٤) ، فيقال له إن كانت تلك
 صوراً فكيف تكون الأطنار من ذهب والعيون من يواقيت وجواهر ؟ ولنحسب أن
 صور الأطنار لسيجت من خيوط ذهب فما بال العيون اليواقيت والجواهر ؟

والصحيح أن أم المستعين عملت « قلابة »^(٥) ، ذكر أبو هلال العسكري في كتاب
 الأوائل عن أحمد بن حمدون أن أم الخليفة المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم عملت قلابة
 لم يبق شيء حسن إلا جعلته فيها وأنفقت عليها مائسة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ،
 وسألته أن يقف عليها ، قال أحمد بن حمدون فقال لي المستعين ولا ترجع الهاشمي : اذهب
 فانظرا إليها وصرفاها . فضينا فرأيناها ، فما رأينا في الدنيا شيئاً حسناً إلا وقد عمل فيها ،
 ومددت أنا يدي إلى غزال من ذهب مملئ غنبراً وعيناه حباً جوهر وعليه سرج ولجام
 وركاب من ذهب فاخذته ووضعته في كمي^(٦) ... إلى آخر الخبر الطريف ، فصارت القلابة
 عند مؤلف المستطرف « بساطاً » . وجاء مؤرخ الحضارة فنقل الخبر على علاته وخروجه
 عن حدود الامكان والواقع . ووصف هذا المؤرخ أهل بغداد في القرن الثاني بأوصاف

(١) المذكور « ص ١٩ » .

(٢) المذكور « ص ٢٣ » .

(٣) « ص ٢٤ » .

(٤) القلابة كالقلية وهي الصومعة ،

(٥) « ص ٩٥ » .

(٦) أوائل أبي هلال العسكري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٨٦ و ١٠٠ » وانما

وضه في كفه لأن الجيب الذي نرفه لم يكن معروفًا أيامئذ .

أهلها في القرن السادس أيام الفتوة والفخر والعدل والاستسعاد^(١)، وما أحسن قول الدكتور الفاضل : « ثم إن التكوين الاجتماعي والاقتصادي لأية مدينة يتبدل بمرور الزمن ويرافقه تبدل الخطط^(٢) » ثم قوله : « فإذا كانت لدراسة خطط بغداد أهمية كبيرة فإن على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط وتحديد أماكنها وخططها في زمن معين لأن الخطط تتطور فتتسع أو تضيق أو تتبدل فيها مواضع الأسواق ومراكز اللهو أو السكن ، فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر أو الكتاب الذي يصف خطط المدينة وبيان أن وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمان المؤلف وتغيير ذلك مما نقله ممن سبقه^(٣) » .

فكثير من الباحثين يجهلون هذه الحقائق ويعدون الخطط ثابتة لا تتغير ويعتدون الزمان واحداً لا يتبدل ، مثال ذلك أن كثيراً من الناس ما يزالون يعدون شرقي بغداد « الرصافة » وكانت من محال الحنابلة ، وغربي بغداد « الكرخ » وكان من محال الشيعة ، مع أنها كانتا محلتين مسورتين محدودتين بعينيتين عن الموضعين اللذين يذكر ونهاهما .

مصطفى هواد

(١) حضارة الاسلام « ص ٩٧ » .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي « ص ٤ »

(٣) المرجع المذكور « ص ٦ » .